

مقدمة الطبعة السادسة

أما بعد : فإنني أقدم الطبعة السادسة من كتابي نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - الجزء الأول . وقد تبين لي مقدار ما طرأ على حقل الدراسات الفلسفية الإسلامية من تغيير في السنوات الأخيرة .

إن الفكرة الخاطئة التي كانت تقرر عدم أصالة الفكر الفلسفي في الإسلام قد انتهت تماماً ، ولم يعد لها مجال في دراسة الفلسفة الإسلامية . وكم شغلنا - في العقود الثالث والرابع والخامس من هذا القرن - هذه الفكرة ، وأمضتنا ، وكم قاومناها أشد مقاومة . وقد انطلقت مجموعة من شباب الباحثين يخوضون في الفلسفة الإسلامية ، ويعرضون لنا ثمرات فاضحات من دراساتهم .

إن الفكرة الخاطئة التي كانت تقصر الفلسفة الإسلامية في نطاق الفلسفة الإسلامية المشائية قد انتهت أيضاً . بل يكاد يكون من المسلمات الآن : أن الفلسفة الإسلامية تشمل المشائية الإسلامية ، والأفلاطونية الإسلامية ، والأفلاطونية المحدثة الإسلامية والرواقية الإسلامية ، ثم علم الكلام بفروعه المختلفة ، وبفرقه المتعددة ، ثم التصوف ، ثم الدراسات الكلامية والمنهجية في علم أصول الفقه .

وظهرت رؤى جديدة ، ومناهج حديثة في دراسة الفلسفة الإسلامية ، وطبق بعض الباحثين على الفكر الإسلامي : الرؤية التاريخية المادية ، والبنوية وغيرها من مناهج . ولست أقوم هنا بتقويم هذه المناهج أو هذه الرؤى ، وبخاصة البنوية . إن كل ما أقوله الآن : إنها كلها أغنت دراسة الفلسفة الإسلامية وزادت في خصوصيتها .

ولكنني ما زلت أرى أن التفسير الموضوعي المحايد ، هو أهم تفسير في دراسة الفكر عامة والفكر الإسلامي خاصة .

إن النظرة أو الرؤية الموضوعية لا تنكر أبداً أن الفكر كثيراً ما يتقدح من باطن المجتمع ، وأنه يعبر عن تطورات سياسية واجتماعية ومادية واقتصادية ، وأن من الممكن النظر إليه داخلياً وخارجياً .

ولكن للفكر من حيث هو فكر موضوعيته ونسقه . والفكر من حيث هو فكر أعماقه وحنياه . وهو إما فردي وإما اجتماعي ، وقد يكون نزوة حيوية للفرد أو للمجتمع ، وقد يكون ثورة باطنية أو خارجية للفرد أو للمجتمع ، وقد يكون فردياً بحتاً ، وقد يكون اجتماعياً بحتاً . وقد

يتقدح من باطن المجتمع ، وقد يتقدح من باطن الترد . ولست أود أن أطيل في هذا الميدان في هذه المقدمة ، فإنني سأعود إلى دراسة هذه المناهج الجديدة في بحث منفرد .

وفي ضوء هذه الملاحظات أعدت كتابة الكثير من فصول هذا الكتاب ، مطبقاً الرزية الموضوعية ، مع النظرة إلى صلة التكر بالمجتمع ، حينما توجد هذه الصلة . ويتضح هذا من التغيير الشامل الذي تمت به في مبحث أصحاب التأويل العقلي في الإسلام ، ممن عرفوا باسم التقديرين أو الجهميين . وقد صدرت أبحاث متعددة في المعتزلة - تثبت أنهم كانوا في العالم الإسلامي رواد ما يسمى بالعقلانية . وقد كنت أول من دعا إلى هذا . وفي الطبقات السابقة كنت وإن أبا الخليل العلاف أول فلاسفة الإسلام بلا مدافع . أما العقلانية التي لدى فلاسفة الإسلام المشائين أو الأفلاطونيين المحدثين ، فقد كانت عقلانية متبعة . ما زلت أقول : إن الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد « مقلدة اليونان » . و « المقلد غير عقلائي » إن ما لدى الكندي وابن رشد من عقلانية أصيلة إنما هي عقلانية مستعارة من المعتزلة والماتريدية وغيرهم من مفكرين مسلمين . أما قول الكندي وابن رشد بعصمة « أرسطو » فهو تقليد أعمى مشوه ، غير واضح وغير متناسق . كان هؤلاء متلفعة وليسوا فلاسفة ، أسميم بأصحاب الفلسفة الإسلامية وليسوا بأصحاب الفلسفة المسلمة .

لقد بدأ الإبداع الفلسفي في الإسلام لدى المعتزلة ، وأعقبهم الأشاعرة ، والشيعة . وهنا تكمن فلسفة الإسلام الحقيقية .

وأخيراً : أود أن أذكر أنني ناقشت الكثير من موضوعات هذه الطبعة ، وما طارأ عليها من تغييرات مع صديقي وزميل العلامة المغربي الشاب الدكتور عبد السلام بو مجدل - أستاذ الفلسفة الإسلامية المحاضر بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط . وقد قدم لي الكثير من الملاحظات والاعتراضات التي أفادتنى كثيراً ، ووجه نظري إلى ضرورة كتابة الأصول الحمة للمعتزلة كتابة جديدة ولقد فعلت .

والله أسأل التوفيق

دكتور علي سامي النشار

الرباط - المغرب في ١٨ من شوال عام ١٣٩٥ هـ

٥ من نوفمبر سنة ١٩٧٤ م

مقدمة الطبعة الخامسة

أما بعد . . فإني أقدم للقارئ الطبعة الخامسة من الجزء الأول من كتابي نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام . وقد رأيت أن أقوم بتقويم كامل لأبواب الطبعة الرابعة وفصولها . وقد غيرت المادة في كثير من الفصول ، طبقاً لمنهج جديد : هو وضع آراء المفكرين المسلمين في النسق الفلسفي . وقد استلزم هذا مني مراجعة لكثير من النصوص التي ظهرت في السنوات الأخيرة . كما أن مجموعة الأبحاث التي قام بها تلامذتي قد أفادتني كثيراً في تطوير هذا الكتاب ، وظهوره في الشكل الذي أقدمه الآن . وأخص بالذكر من هؤلاء التلاميذ عالم الجزائر الشاب الدكتور عمار الطالبي أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر ، والتي كانت تلمذته علي ، وصحبته لي خلال عامين في الإسكندرية على جانب كبير من الفائدة للبحث العلمي في حلقتي العلمية بالإسكندرية . وقد أشرت في الهوامش المتعددة إلى أهمية النصوص التي قدمها لي ، واستفدت بها في هذا الكتاب . كما أشرت أيضاً في الهوامش إلى المجهود العلمي الكبير الذي قام به طلبتي في الدراسات العليا كل في نطاقه ، في إثراء البحث العلمي في الدراسات الفكرية الإسلامية .

• • •

وإني لأدعو الله عز وجل - مخلصاً - أن يقوموا بالعمل - من بعدى - صادقين ، متعاونين ، مترابطين ، متكاملين ، لا يتخلف منهم أحد ، في إغناء الفكر الفلسفي الإسلامي ، وأن يقفوا من مشاكل الوجود والطبيعة والإنسان ، الموقف الإسلامي الأصيل ، والله معهم .

دكتور علي سامي النشار

الإسكندرية في السابع والعشرين من جمادى الأولى عام ١٣٩١ هـ

وفي العشرين من يولية عام ١٩٧١ م

obeikandi.com

مقدمة الطبعة الرابعة

أما بعد . فإنى أقدم للقارئ الطبعة الرابعة للجزء الأول من كتابي « نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام » . ولقد أضفت إليه أبحاثاً جديدة ، وصقلت بعض فصوله فتغيرت مادتها في هذه الطبعة عنها في سابقتها .

لقد قلت من قبل : إن تأريخ الفلسفة الإسلامية لن يستقر استقراره الكامل حتى ينشر الدفين الكبير من المخطوطات العربية . غير أن مجهودات الباحثين في الفلسفة الإسلامية مستمرة دائماً ، وفي طاقة جبارة ، لإخراج كثير من المخطوطات وتحقيقها . وبقدر ما يظهر من مخطوطات ووثائق ، بقدر ما يزداد تضخم تاريخنا للفلسفة الإسلامية ، وهذا ما يدعونا إلى التغيير والتبديل المستمر في أبحاثنا .

وإني لأشكر تلميذي السيد محمد حسن اللخايني ، الذي أشرف على طبع هذه الطبعة ، وقام بتصحيح أصولها ، وعانى هذا العمل المضني أشد العناء .
وأسأل الله التوفيق . .

دكتور على سامي النشار

أستاذ كرسى الفلسفة بكلية الآداب
بجامعة الإسكندرية

السادس عشر من جمادى الأولى عام ١٣٨٦ هـ
الأول من مارس عام ١٩٦٦ م

تصدير

ليس ثمة شك في أن الفلسفة الإسلامية هي التعبير النهائي المتجدد للأمة الإسلامية ، والاتقداح المنصهر السيال لتطور هذه الأمة الخلاق خلال الدهور . وليس في حياة المسلمين ولا في تاريخهم من حقائق أخطر ولا أدق من حقائق هذه الفلسفة الإسلامية ، إنها جوهر حياتهم ، ومرآة تطورهم . وانعكاس لما في باطن مجتمعاتهم من آمال وآلام . ولقد شملت هذه الفلسفة آفاقاً متعددة ، واقتحمت ميادين متسعة ، ميتافيزيقية وطبيعية وأخلاقية وسياسية ، وأقامت حضارة ذات طابع خاص يميزها عن غيرها من الحضارات ، ويفصلها عن غيرها من الأمم . ولهذا كان من المحال أن تقول إنها امتداد لحضارة أخرى ، أو صورة غير متكاملة لفلسفات وأفكار سابقة . إن الروح الفلسفي المنبعث من أمة ذات خصائص معينة يختلف عن الروح الفلسفي المنبعث من أمة مختلفة الخصائص ومختلفة الآفاق .

لا شك أن هناك تاريخاً عاماً للفلسفة يشمل الفلسفات جميعاً وتوضع هذه الفلسفات في إطاره ، والفكر الإنساني متصل الحلقات ، ولكن من الخطأ الكبير القول بأن الفلسفات تشابه في جوهر مذاهبها . إنها تختلف طبقاً للانبعاث الداخلي والخارجي في الأمم . هل تشابه اليونان مع الهند في شيء ؟ وهل استطاع الهنود ، وهم أمة آرية عريقة في التاريخ ، أن تقدم لنا ما قدمه اليونان ؟ وهل استطاعت إيران القديمة ، وهي أمة آرية أخرى ، أن تقدم للفكر الإنساني ما قدمه الهنود أو اليونان ؟ . . . وكذلك فعل المسلمون القادمون من الجزيرة العربية ، فحين التحموا بينهم من الأمم ، وكوّنوا معدلاً بشرياً جديداً ومزيجاً فكرياً جديداً ، قمموا لنا فلسفة جديدة لم يعرفها اليونان ولا غير اليونان .

وتعمدت المسائل ، وضخمت الحياة بالمسلمين ، فأمسكوا بجوهر فلسفتهم الإسلامية القديم كما هو ، وطوروا عرضها فقط ، فبقيت كما هي منذ نشأتها حتى الأيام التي نجياها نحن الآن ، فما زالت فلسفتنا وفكرنا هي ما ترفسه أسلافنا الأقدمون وما تفكروه ، ولم يظهر بيننا حتى الآن فيلسوف على طريقة أوروبا ، كما لم يظهر من قبل بين أسلافنا فيلسوف على طريقة يونان ، أو على طريقة براهما أو زرادشت . وما أشد عبث هؤلاء الذين يقولون إننا كنا ذيلاً لحضارة ، وينبغي أن نكون ذيلاً لحضارة ، وأن نترض على كياناتنا الداخلية وعلى وجداننا الباطني ما صدر عن كيانات غيرنا وكمن في وجدانهم . وهذا خطأ بالغ ، إننا نصدر عنا داخلياً ، ونلقى إلى تراث الفكر بما تحرك في تعاريج عقلنا ذى القوام الخاص . فأحكام القبيحة لدينا ليست أبداً هي

أحكامهم ، ولا أخلاقيتنا هي أخلاقيتهم ، ولا ما نفتنصه من نشوفنا في آفاق الكون هو تشوفهم ، وليس طريق الفكر والفلسفة واحداً . . إنه متعدد الدواحي ، متعدد المسالك .

لم تكن فلسفتنا فلسفة اليونان ، وإن كنا قد تناولناها ، فلم يكن مجتمعنا مغلقاً تقف حوالبه السود والقلاع ، بل فتح الباب العظيم ، ودخل كل شيء عارياً إلى مدینتنا الكبرى ، فأخذنا ما أخذنا ورفضنا ما رفضنا ، وكان ما أخذنا قليلاً ثم وضعنا البناء العظيم وجرى الفكر نهراً سبباً يلدع ويفتن .

كانت الفلسفة الإسلامية بدء عصر تنويري مدع نفاذ ، إنها أنت بخلق جديد وألقت بتصورات كبرى في تاريخ الفكر الإنساني ، وحوات هذا الفكر من طور إلى طور ، وسارت قدماً حتى حل الأصل ، وكاد المغرب أن يطويها ويطوى المسلمين . ولكنها - وهي قوة حيوية خلاقة - تفتن من جديد وتلدع .

ومنذ أن نادى المدرسة الإسلامية الحديثة بضرورة الكشف عن روح هذه الحضارة في كتابات المسلمين الأصيلة وأنا معنى بتتبع نشأة هذه الفلسفة الإسلامية والتكر الإسلامي . . إن النشأة هي البنية التي يقوم عليها أساس الفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي .

وشغلت بتاريخ هذه المرحلة الأولى الخطيرة ، فكشبت الكتاب الأول أو الطبعة الأولى منهجاً لا مادة ، أردت به أن أوجه أنظار الباحثين إلى منهج البحث في هذه الفلسفة ، وكيف تتناولها في مصادرها الأصيلة .

ثم قدمت الطبعة الثانية من هذا الكتاب في جزعين ، منهجاً ومادة ، وحاولت أن أقوم بدراسة تركيبيّة لخؤلاء المفكرين الأوائل الذين قامت الفلسفة الإسلامية على أكتافهم .

وما إن نفذت « الطبعة الثانية » حتى وجدت أن من واجبي أن أقدم « الطبعة الثالثة » التي نفذت فقدت الطبعة الرابعة وهأنذا أقدم الطبعة السابعة .

أما المنهج فلم يتغير في الطبعات كلها ، وأما المادة فقد كبرت وضخمت ، فبدأ الكتاب على غير ما يعرفه قارئ الطبعات السابقة . أضيفت إليه مواد استخدمت فيه وثائق ومصادر جديدة . وما زلت أؤكد أن البحث في النشأة لم يتم بعد ، ولا بد من سنوات أخرى تبرز فيها وثائق ما زالت مطمورة ، وتوضح فيه حقائق ما زالت مغمورة ، تبين عن أصالة هذه الفلسفة وقوتها الدافقة ، وتكشف عن تكامل نسقتها .

ولم تكن أبحاثي وحدها في الميدان تبحث الفلسفة الإسلامية في وجهتها الصحيحة ، إن الأبحاث المستفيضة في تاريخ هذه الفلسفة تتوالى عاماً بعد عام . ومنذ أن أعلن مصطفى عبد الرزاق - أستاذ الفلسفة الإسلامية الأول القديم - دعوته إلى

دراسة الفلسفة الإسلامية في مظانها الحقيقية ، وتلامذته الأقدمون قد نقرأ إلى أعنف موضوعاتها ، يدرسونها في تودة وإتقان ، ثم يقدمونها للحياة الإسلامية المعاصرة ، وللمسلمين جميعاً في صورة متألقة فاتنة .

ظهرت الأبحاث الغنية العارمة من رجال تلك المدرسة ، فوضحت قواعدها وثبتت ركائزها ، وانطلق كل في نطاقه يعرض لأصالة الفكر الإسلامي في ناحية من نواحي هذا الفكر .

أما أقدم هؤلاء المشيخة القدامى : فهو العلامة العظيم المرحوم محمود الحضيرى ، وقد فقدناه وهو في أوج نضجه ، ولا ينسى تلامذته الكثيرون في الجاهات العربية ما ألقاه إليهم من محاضرات تكشف عن ملامح الفلسفة الإسلامية الحقيقية في عصورها المختلفة ، ولا ينسى الباحثون تحقيقاته العميقة الرائعة المشورة وغير المشورة في شتى نواحي الفلسفة الإسلامية . وكم نرجو أن يتمكن البعض من تلامذته أن يجمع أعماله العلمية لتكون أول سجل حافل لأعمال هذه المدرسة الأولى في محاولتها الحضارية للكشف عن حقيقة الفكر الإسلامى .

أما ثانى هؤلاء المشيخة : فهو الدكتور محمد مصطفى حلمى ، وقد ورث هذا الشيخ العتيق ميراث مصطفى عبد الرازق في جامعة القاهرة وأخذ مكانه ، وحمل في أناة فاتنة رسالة الأستاذ الكبير . وتبدى هذا واضحاً في توفره على فلسفة الحب الإلهى ادى سلطان العاشقين عمر بن الفارض ، كما كانت كتاباته عن الحياة الروحية في الإسلام أكبر دليل على انشاق هذه الحياة في جوهرها عن الإسلام وحده ، وقد ملأت كتابات مصطفى حلمى في التصوف فجوة كبيرة في تاريخ الفلسفة الإسلامية . موضحة هذا الجانب الأصيل فيها ، كاشفة عن أسرارها ودقائقها .

أما ثالث التلاميذ فهو : الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة . ولقد كانت حياة أبي ريدة غنية بالفلسفة . لقد اقتحم ميدانها الوعر ، فكب في باكورة شبابه كتابه العظيم « إبراهيم ابن سيار النظام وآراؤه الفلسفية والكلامية » . ولم أر عبقرياً بين كتب الفلسفة جيداً كما رأيت كتاب أبي ريدة . لقد كون المذهب النظامى خلال شذرات قام بتركيبها على أساس منهجى متكامل ، وأثبت أن لهذا الشيخ الكبير من شيوخ المعتزلة فلسفة ذات أصالة تجعله في الرعيل الأول من فلاسفة هذه الدنيا ، ثم نشر الدكتور أبو ريدة رسائل الكندى وعاش معه وفيه ، وحاول أن يظهر في وضوح وخصب حقيقة الكندى بين الكلام والفلسفة ، وأن يخلص مذهبه من أضرار فلسفة اليونان التي يختلف فيها عن فلسفة الإسلام . وسواء صحت المحاولة أو لم تصح ، فإن عبد الهادى أبو ريدة إنما يصدر عن منهج مصطفى عبد الرازق في أصالة الفلسفة الإسلامية وعبقريتها . وظهر دفاع محمد عبد الهادى أبو ريدة عن أصالة الفلسفة الإسلامية واستقلالها في تعليقاته الزاخرة على كتاب « تاريخ الفلسفة في الإسلام » للأستاذ دى بور ، والذي قام عبد الهادى أبو ريدة نفسه بترجمته من الألمانية إلى العربية .

ولم تكن مدرسة مصطفى عبد الرزاق وحدها تقوم بهذا التفسير الحضارى العلمى لحقيقة الفلسفة الإسلامية ولحقيقة الإسلام ، بل سرعان ما تكونت مدرسة أخرى ذات طابع عقلى فى « دار العلوم » موطن العلم العربى وحاملة التراث الإسلامى المقدس فى جميع نواحيه ، سرعان ما ظهرت المدرسة العقلية الإسلامية فيها على يد العالم الكبير الدكتور محمود قاسم . لقد توجه هذا الأستاذ الأول للفلسفة الإسلامية فى الشرق الأوسط إلى منهج جديد فى البحث ، هو إحياء النظرة العقلية فى شباب العرب خاصة والمسلمين عامة ، فنشر أبحاثه القياضة عن ابن رشد سواء فى الفرنسية أو فى العربية . وقد تناول محمود قاسم ابن رشد من ناحية جديدة ، وهى أنه معبر أيضاً عن روح الفلسفة الإسلامية وأصالتها وأنه لم يتابع أرسطو متابعة الأعمى . وبهذا أنكر محمود قاسم خرافة شارح أرسطو . ثم بين فى ضوء تحليل جديد ووثائق جديدة ، أثر ابن رشد فى فيلسوف المسيحية توماس الأكوينى . ونشر محمود قاسم كتابه الرائع « نظرية المعرفة عند ابن رشد وأثرها فى توماس الأكوينى » ، كما نشر مناهج الأدلة لابن رشد ، مع مقدمة مستفيضة يعرض فيها آراءه فى الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة ، فيهاجم الأولى ويمجد الثانية والثالثة .

إننى لا أوافق محمود قاسم فى آرائه عن ابن رشد ولا فى مهاجمته للأشاعرة وتمجيده للمعتزلة . إننى - كمفكر أشعرى يرى أن عمله الأساسى فى الحياة هو المحافظة على كيان المذهب الأشعرى مذهب الجمهور العظيم من المسلمين ورباط حياتهم - أنكر كل الإنكار فكرة محمود قاسم الرئيسية . وهى أن المذهب المعتزلى من ناحية ، والمذهب الرشدى من ناحية ثانية ، أقرب عقلاً إلى روح الإسلام من مذهب الأشاعرة . إننى أرى أن الأشعرية هى آخر ما وصل إليه العقل الإسلامى الناطق باسم القرآن والسنة ، المعبر عنها فى أصالة وقوة . وإن ما بقى للمسلمين بعد فى الحياة حتى نهاية الدنيا ، هو الأخذ بهذا المذهب كاملاً وتطويره خلال العصور ، وعلى حسب مقتضيات الأجيال المقبلة . ونحن فى أشد الغنى عن منحصر المعتزلة العقلى ، كما أننا على بعد كامل عن تفسير ابن رشد للإسلام فى ضوء فلسفة أرسطو . لقد اطمأن المسلمون من قبل فى بواديهم ، كما اطمأنوا من قبل فى حواضرهم ، إلى المذهب الأشعرى ، وتخلصوا من شوائب العقل البحث ، كما تخلصوا من أدراك الغنوص فى ضوء هذا المذهب ، وحفلت حياتهم فى ضوء تعاليمه وتعاليم رحاله .

إن نراه الحياة الإسلامية كلها يعود إليه وبه وبواسطة رجاله . خصصت آراؤه الفلسفية والسياسية والفقهية والأصولية واللغوية والصوفية والعلمية . لقد شمع النور حينما كان ، وانتشر الضوء حينما ظهر ، وبقى الإسلام حينما كان . بينما كانت المعتزلة - وهى إسلامية فى جوهرها ولكنها لا تمثل الإسلام كاملاً حاجة مؤقتة من حاجات المجتمع الإسلامى ، أرادها وقتاً ، ثم تخلص منها بعد . أما المذهب الرشدى - إن صح تفسير محمود قاسم له - فهو ترف عقلى ؛ لم يؤثر فى مجتمع المسلمين أدنى تأثير .

هذا هو الخلاف الأكبر بين محمود قاسم وبيننا . ولكن هناك اتفاقاً كاملاً بيننا وبينه في أنه حينما تخصص الفلسفة الإسلامية ، فإنك تقابل الأصالة الفكرية ، والقوة المنبعثة في تفكير المسلمين . وقد استطاع محمود قاسم أن يكون مجموعة من التلاميذ بتدارسون آراءه وينشرونها ، واحتل مكانه الكبير في تاريخ الباحثين في روح الفلسفة الإسلامية وتبيين أصالتها .

ولست أود أبداً أن أغض من أعمال مجموعة من شباب الباحثين الذين أقبلوا على تاريخ الإسلام الفكري ، وكونوا جيلاً من جابرة العلماء . إنهم بعد قليل سيتولون أمر الفلسفة الإسلامية وتوجيه الحياة الروحية الإسلامية وعلى عاتقهم سيكون أمر الحفاظ على هذا التراث . إنهم يسيرون على أرض أسهل فقد مهد لهم الطريق . لقد تفتحت عقول المسلمين من هذه الفلسفة ، فعليهم هم أن يعملوا مشاعليها ، وأن يوضحوا حقائقها . وأقدم على سبيل المثال لا سبيل الحصر بعض أسماء هؤلاء العلماء وأبحاثهم : الدكتور عمار الطالبي في أبحاثه العميقة عن الحوار وعن ابن العربي الفيلسوف الأشعري وعن ابن باديس ، والدكتور محمد رشاد سالم في أبحاثه العميقة عن ابن تيمية والدكتورة فوية حسين في أبحاثها عن إمام الحرمين فيلسوف الأشاعرة الكبير ، والدكتور فتح الله خليف في أبحاثه عن فخر الدين الرازي والماتريدية ، والدكتور عبد القادر محمود في أبحاثه عن الإمامية وتاريخ التصوف ، والدكتور أحمد صبحي في أبحاثه عن علم الكلام وعلم الأخلاق عند المسلمين وغير هؤلاء كثيرون ، كل هؤلاء إنما يتجهون نحو توضيح منهج المدرسة الإسلامية الحديثة ، وتدعيم مادتها . أما منهجها فهو بمنهج الفلسفة الإسلامية في مظانها الحقيقية : الكلام والتصوف ، وأما مادتها فيما ينشرونه من أبحاث في هذه الموضوعات وما يعدونه من مخطوطات نشر البعض منها ، والبعض ما زال في طريقه إلى النشر .

وقد يتساءل البعض : وما حظ الأزهر - وقد كان معقل الإسلام العظمى الأشاعرة - في الدراسات الإسلامية الفكرية وبعثها وتوضيح حقائقها ، والوقوف بالمرصاد لأوروبا وعلمائها جميعاً ؟ ولست أود في هذه الآونة أن أعرض لمشكلة الدراسات الإسلامية الفكرية فيه ، غير أنني أقول : إن ملامح مدرسة كبيرة ستؤدى عملها فيه أمام ضمير العالم الإسلامي ، تظهر الآن بقوة على يد عالم الإسلام الكبير الأستاذ الدكتور عبد الحلیم محمود ، ولقد نشر عبد الحلیم محمود أبحاثاً طويلاً عن حقيقة الفكر الإسلامي ، واستفاضت أبحاثه . وستمضى مدرسته قدماً في هذا الميدان ، لا توقفها حركات ناشئة تحاول أن توقف مجرى البحث العظيم .

وفى حركة البعث الكبيرة للعالم الإسلامى الخالص - يقوم علماء أزهريون بمجهود علمى جبار فى إحياء وبعث الفكر الإسلامى : أما أولهم : فهو الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيسار فى أبحاثه المتعددة الممتازة عن ابن رشد وتوضيح حقيقة فكره وعن الغزالى وفكره وفلسفته . ثم الدكتور سليمان دنيا . وقد شارك فى إحياء أعمال سيد مفكرى الإسلام على مر العصور « أبى حامد الغزالى » ثم كتب دراسات هامة عن حقيقته . أما الأستاذ نور الدين شريعة فقد أحيا لنا نوادير المخطوطات فى التصوف بتحقيق علمى نادر المثال .

وقد تعدت من قبل . أن أعرض لآراء المدرسة الإسلامية الحديثة ، وأن أعرض لآراء المدرسة الأوربية الحديثة . هؤلاء الذين التحموا بالفكر الأوروبى وتفتتوا أذلاء فى فكره المتن الآفن ، وأعلنوا أنه لم تكن هناك عبقرية فكرية إسلامية : وأن عمل المسلمين الأساسى كان قبول الفكر اليونانى والافتتان بفتنته . وكانت كتاباتى كلها رداً على هذه الدعوة الكاذبة ، ومنذ أن نشرت كتابى الأول « مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسططاليسى » وآراء هذه المدرسة تهافت تهاافتاً كاملاً . اختفت أسطورة الفتنة اليونانية من نطاق البحث ولم يعد يشعر أحد بوجودها ، اللهم إلا إذا تعالت صيحة عصبية من رجالها الآفلين ، تصرخ فى جنون : أن تراثنا هو تراث اليونان ، وأن فكرنا هو فكرهم . وأن حياتنا الفكرية ينغى أن تربط بخلافت اليونان أوربا وأمريكا .

وقد أثارَت مقدمة الطبعة الثالثة لهذا الكتاب ضجة كبرى . حين كشفت - فى إيمان كامل - عن حقيقة هذه المدرسة وحقيقة وجودها ، لقد حق فى فهم حقيقة ما ذكره محمد صلى الله عليه وسلم : « إنى لا أخاف على أمتى مؤمناً ولا مشركاً ، أما المؤمن فيقيم الله بإيمانه ، وأما المشرك فيقيم الله بشركه ، ولكنى أخاف عليكم كل منافق الجنان ، عالم اللسان ، يعلم ما تفعلون وينكر ما تقولون » . كان هؤلاء على الإسلام وحقايقه والمسلمين وعقيدتهم أخطر من كل أعدائه .

لقد ظلموا الإسلام أشد الظلم . وأنكروه بكل وسيلة . كما حاربوا « الفكرة العربية » حينما صارت العربية علماً على « الوحدة » فأنكروا اتهامنا للعرب أشد الإنكار ، ولقد ذهب البعض منهم إلى بارئه ، وبقيت القلة منهم ، ولعلهم أن يعودوا عن ظلم أقدس ما لدينا ، ولعلهم يذكرون حديث أبى ذر الغفارى عن النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباى ، فاستغفرونى أغفر لكم . يا عبادى ، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسبونى أكسبكم . يا عبادى ، كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم ، يا عبادى ، إنكم لن تبلغوا ضرى فتصرونى ،

ولن تبلغوا نفى فتفعموني ، يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً . يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب واحد منكم ما أنقص ذلك من ملكى شيئاً : يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل إنسان منهم ما سأله ما أنقص ذلك من ملكى إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المحيط ، يا عبادى ، إنما أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

أما بعد ، فإنى أقول : لعلمهم أن يعودوا عن ظلم عقيدتهم وتراثهم وكيانهم .. إنهم لن يضرروا الإسلام شيئاً ، إنهم أحقر من جناح بعوضة ، ولن يفتى طينتهم شيئاً ، إن مسرح الأمة الإسلامية وبالتالى مسرح الأمة العربية قد خلا منهم إلى الأبد ، وبقيت صفحة الذين ذهبوا منهم إلى الأبد ، وبقيت صفحة الذين ذهبوا منهم إلى الله ملطحة بالعار والشار . لقد خلت النذر من قبل ولم يستضيئوا ، وأرجو أن يتيقن الباقون منهم فى الحياة من النذر .. نلر الله المتتاليات . وأن يعلنوا إنابتهم إلى الله . وإنابتهم وعودتهم العودة الدائمة إلى حظيرة الله . والله ولى التوفيق .